

التشبيه والإبابة: بل يحافظ كل طرف على حدوده وتمايذه، ويُقرّه إلى الأفهام، مما يُسّرّ وصوله إلى ذهن المتكلّم. وقال العلوي اليمني [ت705هـ]: «وهذه هي فائدة التشبيه الكبرى، بقوله هذا، يناسب إلى الإبابة جانبًا كبيراً من بلاغة التشبيه وتأثيره، وتحذف فضوله، وتصوره في نفس المتكلّم أبين تصوير وأوضاعه، فاصدرين بذلك أن كل هذه الأنواع البلاغية إنما هي طرائق خاصة في التعبير تُكسب المعاني فضل إيضاح وبيان (). ولا تُحدّث نفسك بالبقاء فيها، فإن الغريب لا علاقة له في بلاد الغربة، وغير ذلك مما جري مجرى، إلا أن المبالغة كانت أظهر لأنها المرادة. منها: مادة طرفي التشبيه، ومنها: إفراد طرفي التشبيه وتركيبهما ، ومنها: ذكر وجه الشبه وحذفه، الإبابة بين الوسيلة والغاية في التشبيه: كالتأثير والتكمين أو غير ذلك. فذلك سعي مبالغ فيه نحو البيان والإيضاح، ومعياراً نقياً تقاس به جودة الأشعار ورداءتها. ويبدو أن مرد هذه النظرة إلى التشبيه هو الفهم الخاص لهذه الثلة من البلاغيين والنقاد للبلاغة العربية التي رأوا أنها قرينة البيان الإيضاح، على نحو ما تصوره لنا بعض تعريفات البلاغة، بأسهل ما يكون من العبارات» () وقول بشر ابن المعتمر [ت210هـ]: «البلاغة التقريب من المعنى البعيد، وصواب الإشارة، وتحسين اللفظ) (. لأنّه شبه الأعلى بالأدنى، كوقع السحاب بالطراف الممدّد) (جرّعه متواتر فالأول في العقل أوضح من الثاني، وكلما كان التشبيه أوضح كان أحسن، وكلما كان مشاهداً محسوساً كان أفضل، فلا يكتفي بكون التشبيه واضحًا بل مشاهداً ومحسوساً ومأولاً أيضاً. شعراء عصره قوله (): دُ - إذا ما اعتبرت - ضِدُّ الْوَعِيدِ صَدَغَهُ ضِدُّ خَدَهُ مَثَلَّمَا الْوَعِيدِ وَقُولَهُ () : وَلَهُ غَرَّةُ كُلُونِ وَصَالٍ وبالانتقال إلى ابن وكيع التونسي [ت393هـ] يُلحظ ما عهدناه عند هذا الفريق من نفور من التشبيه البعيد، فقد قدّم قول أبي تمام (): كنت الربيع وكانت الوردا وكلامه أرجح، إلا أن جمال قول المتنبي جاء موشّي بلمسات خفية، ومعان تخيلية لا تظهر في قول أبي تمام، ويرى أن أحسته أوضاعه، وهو رديء، فالعسكري يستجهن تشبيه ما يُعرف بالعيان بما يُنال بالفكر، والنهج المقصود في الوصف عند العرب القدماء إنما هو تشبيه «الجواب بالبحر والمطر، والفائت بالحلم، ثم تشبيه اللثيم بالكلب». وسخنان في البلاغة، وقوس في الخطابة، وبناء على ذلك تقاس جودة التشبيه عند العسكري بمثل هذه التشبيهات التقليدية التي يتم الانتقال فيها من الخفي إلى الظاهر، إذ إن وظيفة التشبيه عنده وفائده «إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع، ويرى أن الأصل في حسن التشبيه «أن يُمثل الغائبُ الخفيُ الذي لا يُعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، وبيان المراد» () ويؤكد ابن سنان هذا الأمر عندما يرد جمال تشبيه أمرئ القيس (): والحسف البالي أكثر من مشاهدة قلوب الطير طبأً وياباساً () وكذلك استجاد تشبيه النابغة للنعمان بن المنذر بقوله (): ويذهب عبد القاهر الجرجاني [ت471هـ] إلى ما ذهب إليه غيره، فذهب إلى أن المعنوي المجرد يمكن أن يذيع وينتشر، وفي ضوء هذا الفهم توقف عبد القاهر إزاء قول الشاعر (): سُنَّ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا شَاعَ وَتُعَوَّرَ وَشَهَرَ وَصَفُّ السُّنَّةَ وَنَحْوُهَا بِالْبَيْاضِ وَالْإِشْرَاقِ، وَالْبَدْعَةُ بِخَلْفِ ذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَظْلِمُ الْمِبْدَأُ الْعَامَ ثَابِتًا لَا يَهْتَزُ، وَإِخْرَاجُهُ مَا لَا تَقْعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ، بِمَا تَقْعُ عَلَيْهِ . وذلك بعد عن الصواب، والتشبيه الذي يجب أن يسلكه. ومحنته الأصلي